

مقال

د. عبدالعزيز محمد أحمد بن حسين*

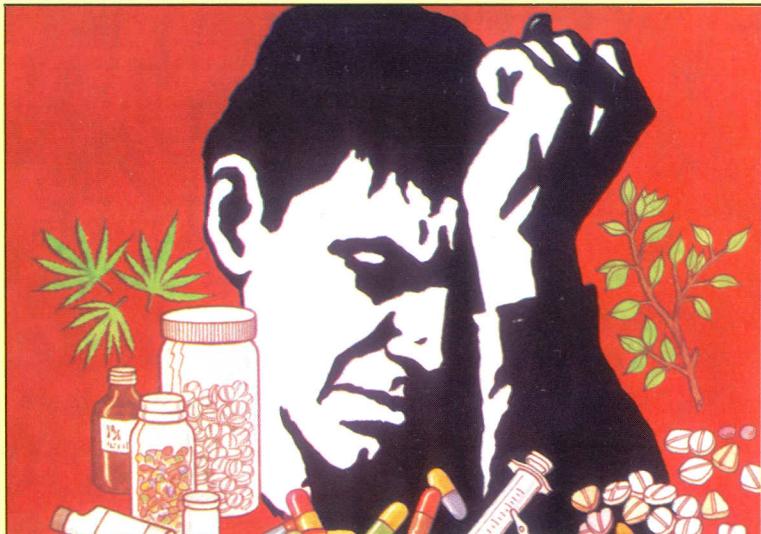
لا يجهل أحد اليوم خطورة تعاطي المواد المخدرة وما تعود به على المستخدم لها وعلى أسرته ومجتمعه من عواقب وخيمة، ولذلك ينزلق في حظيرتها من أغرتها نوازع النفس الشهوانية وأبعدته عن واجبه الديني والاجتماعي والأخلاقي، وقد يتتسائل المرء باستغراب : كيف للإنسان أن يدمّر حياته بنفسه، وما الأسباب التي تدفعه لذلك التصرف غير الرشيد؟ ولو بحثنا عن إجابة لوجدنا أن الأسباب عديدة فقد يصرح متعاطٍ بأن السبب يرجع إلى غواية رفقاء السوء، وقد يدعى ثان

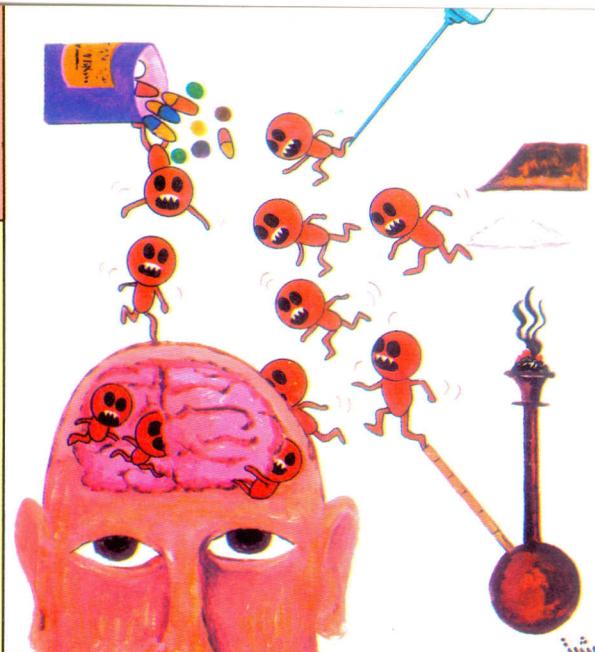
أنه يستخدمها للهروب من الضغوط النفسية، وقد يبرر ثالث أن رحلته مع المخدرات بدأت من باب التجربة والاكتشاف! ... إلى غير ذلك من الأسباب والمبررات، فنجد أن الأسباب وإن اختلفت وتبينت إلا أنه يجمعها قاسم مشترك وهو ضعف حساسة الذات «عند الشخص المتعاطي» ضد شهوات ونوازع النفس، وبالتالي يمكن أن يحدث الإدمان على بعض العقاقير لأسباب قد تكون خارجة عن إرادة الشخص الذي أصبح مدمناً

عليها، فقد يحدث ذلك عن طريق التداوي الذاتي عن جهل «مثل تعود بعض الأفراد على استعمال نوعيات من الأدوية كالهدئيات والمنومات والمنشطات بدون وصفة طبية»، وفي بعض الحالات «وإن كانت نادرة الحدوث» قد يحدث الإدمان من خلال خطأ الطبيب أو قد يحدث من خلال إكراه الشخص وإرغامه على التعاطي، من قبل عصابات إجرامية، وعلى أية حال، فالإدمان الناتج عن مثل هذه الأسباب أو ما يمكن أن نسميه بالإدمان «غير المقصود» ليس هنا مجال الحديث عنه ، ولكن ما هو أخطر وأهم - في نظري - هو الإدمان الناتج عن الانقياد لأهواء الذات وهو حال الغالبية الساحقة من المدمنين. ولقد ارتبط تعاطي المخدرات على اختلاف أنواعها بالكثير من المضار الصحية، والنفسية، والاجتماعية والاقتصادية، ولكن سوف اقتصر الحديث على علاقة المخدرات بالأمراض النفسية، فما لا شك فيه أن المخدرات ليست عناصر



المخدرات وعلاقتها بالأمراض النفسية





المصابين بفصام الشخصية، هم من مدمني الكحول الذين بدأوا تعاطي الخمور منذ فترة مبكرة في حياتهم، وفي دراسة حديثة عن المرضى النفسيين بالولايات المتحدة اتضح أن نسبة ٧٨٪ من متعاطي المخدرات البالغين يعانون من أمراض نفسية مزمنة، كما تبين أيضاً أن نسبة ٤٠٪ إلى ٥٠٪ من الأفراد المتعاطين للمواد الأفيونية هم من ذوي الشخصيات المضادة للمجتمع «Anti-social Personality». كما اتضح أيضاً أن ٤٧٪ من مستخدمي الكوكايين يعانون من الازدواجية في الشخصية و ٤٨٪ منهم يعانون من قصور في الانتباه والتركيز بالإضافة إلى اضطراب في العواطف والوجودان، وقد لوحظ أيضاً أن الأعراض الاكتئابية الحادة تصاحب معظم حالات الانقطاع المفاجئ عن استخدام الكحوليات والمهدئات والنيكوتين، وفي حالة الإدمان على الهيروين فإن أعراض الاكتئاب والقلق الشديد بالإضافة إلى أعراض الاشتياق إلى العقار لا تكون مجرد أعراض طارئة أو وقته ولكن قد تستمر فترة طويلة من حياة الشخص، وغالباً ما تدفعه إلى العودة إلى استخدام العقار من جديد ومن هذا نجد أن العلاقة بين الإدمان على المواد المخدرة والمرض النفسي هي علاقة وثيقة، بل يمكن أن تعتبر أن الإدمان بذاته مرض نفسي مزمن يتمثل في صعوبة مقاومة الفرد للامتناع عن المادة المخدرة.

وبهذا يتضح لنا الخطر الدمر لهذه الأفة الفتاكـة : المخدرات على اختلاف أنواعها ومصادرها، وكيف تقضـي على أعز وأعلى مقومات الإنسان : العقل، ثم تأتي على بنيـة الجسدية فتلحق بها الدمار والخراب، ولقد أرشدنا دينـنا الحنـف إلى اجتنـاب كل ما يـحدث ضرراً بالجـسم أو بالعقل، فقد حـرمـتـ الخـمـرـ وما شـابـهـاـ فيـ التـائـيرـ عـلـىـ العـقـلـ وـالـجـسـدـ منـ موـادـ سـائلـةـ أوـ مجـفـفـةـ أوـ متـطاـيرـةـ لماـ لهاـ منـ الأـضـرـارـ وـالـعـاقـبـ الوـخـيمـةـ عـلـىـ الفـردـ وـالـجـمـيعـ.

* استاذ علم النفس الجنائي المساعد بجامعة الملك سعود.

الغذائيـةـ بلـ هيـ موـادـ غـرـيـبةـ عـلـىـ الجـسـمـ الإـنـسـانـيـ، وـماـ كانـ مـنـهـ يستـخدـمـ كـدوـاءـ فـيـ أـزـمـنـةـ سـابـقـةـ فـقـدـ اـثـبـتـ الطـبـ الـحـدـيـثـ خـطـورـتـهاـ عـلـىـ الإـنـسـانـ، فـالـمـتـعـاطـيـ عـنـدـمـاـ يـسـتـخدـمـ المـادـةـ المـخـدـرـةـ وـتـتـسـرـبـ إـلـىـ دـمـهـ فـإـنـهـ تـحـدـثـ تـغـيـيرـاـ فـيـ كـيـمـيـاءـ الدـمـ لـدـيـهـ بـإـضـافـةـ عـنـاصـرـ جـديـدةـ وـغـرـيـبةـ لـاـ يـرـغـبـهـاـ الـجـسـمـ، وـعـنـدـمـاـ يـصـلـ أـثـرـ المـادـةـ المـخـدـرـةـ إـلـىـ خـلـاـيـاـ الـدـمـاغـ فـإـنـهـ تـحـدـثـ الـكـثـيرـ مـنـ الـخـلـلـ فـيـ الـوـظـائـفـ الـعـقـلـيـةـ وـالـعـصـبـيـةـ وـالـعـضـوـيـةـ، فـقـدـ أـظـهـرـتـ نـتـائـجـ الـبـحـوثـ وـكـذـلـكـ الـمـلـاحـظـاتـ الـعـيـادـيـةـ الـمـبـاـشـرـةـ أـنـ الـهـيـرـوـيـنـ «ـوـهـوـ أـكـثـرـ مـشـتـقـاتـ الـأـفـيـوـنـ أـثـرـاـ وـخـطـرـاـ وـقـابـلـيـةـ لـلـإـدـمـانـ»ـ يـتـسـبـبـ فـيـ الـكـثـيرـ مـنـ الـأـضـرـارـ الـمـخـدـرـةـ وـالـخـمـولـ وـتـدـنـيـ مـسـتـوىـ النـشـاطـ الـبـدنـيـ هـذـاـ وـصـعـوبـةـ الـتـفـكـيرـ وـالـخـمـولـ وـتـدـنـيـ مـسـتـوىـ الـنـشـاطـ الـبـدنـيـ هـذـاـ إـلـىـ جـانـبـ الـأـضـرـارـ الـبـدنـيـةـ الـمـدـرـمـةـ الـتـيـ قـدـ تـفـقـدـ الـمـتـعـاطـيـ حـيـاتـهـ إـذـاـ استـمـرـ فـيـ تـعـاطـيـهـ. وـقـدـ تـبـيـنـ أـنـ الـكـثـيرـ مـنـ الـأـمـرـاـضـ الـنـفـسـيـةـ وـالـعـقـلـيـةـ تـرـتـبـطـ بـتـعـاطـيـ الـمـخـدـرـاتـ، فـمـنـ الـأـمـرـاـضـ الـتـيـ أـثـبـتـتـ الـدـرـاسـاتـ وـالـمـلـاحـظـاتـ الـعـيـادـيـةـ اـرـتـبـاطـهـاـ بـتـعـاطـيـ الـمـخـدـرـاتـ مـرـضـ فـصـامـ الـشـخـصـيـةـ «ـSـch~izophrenia~»ـ وـالـذـيـ مـنـ أـهـمـ اـعـرـاضـهـ اـنـسـحـابـ الـمـصـابـ بـهـ مـنـ الـوـاقـعـ، وـانـطـوـائـهـ عـلـىـ نـفـسـهـ، وـالـتـجـولـ الـذـهـنـيـ فـيـ عـالـمـ الـوـهـمـ وـالـخـيـالـ إـلـىـ جـانـبـ دـمـ الـاتـسـاقـ بـيـنـ الـمـزـاجـ وـالـتـفـكـيرـ، وـتـبـلـدـ الـوـجـدانـ وـاـضـطـرـابـ الـعـوـاـفـ وـالـانـفـعـالـاتـ لـدـيـهـ، مـعـ قـصـورـ عـامـ فـيـ الـوـظـائـفـ الـعـقـلـيـةـ، وـمـنـ الـمـوـادـ الـتـيـ تـبـيـنـ أـنـ تـعـاطـيـهـاـ الـمـسـتـمـرـ يـتـسـبـبـ فـيـ حدـوثـ أـعـرـاضـ فـصـاميـةـ :ـ الـكـحـولـيـاتـ، وـعـقـارـ «ـLـSD~»ـ وـ«ـP~C~P~»ـ، وـالـأـمـفيـتـامـيـنـاتـ، وـالـكـوـكـايـنـ، وـمـنـ نـاحـيـةـ أـخـرىـ فـقـدـ أـوـضـحـتـ نـتـائـجـ الـمـسـحـ الـإـحـصـائـيـ الـذـيـ قـامـ بـهـ مـرـكـزـ الـأـوـبـيـةـ «ـE~C~A~»ـ بـالـلـوـلـاـيـاتـ الـمـقـدـدـةـ الـأـمـرـيـكـيـةـ لـ ٢٠٠٠٠ـ شـخـصـ مـنـ الـمـتـعـاطـينـ لـأـنـوـاعـ مـخـلـفـةـ مـنـ الـعـقـاقـيرـ أـنـ ٥٥ـ٪ـ مـنـهـمـ يـعـانـونـ عـلـىـ الـأـقـلـ مـنـ مـرـضـ نـفـسـيـ وـاحـدـ.ـ كـمـاـ أـوـضـحـتـ الـدـرـاسـةـ أـنـ الـأـمـرـاـضـ الـنـفـسـيـةـ تـزـيدـ فـيـ حـدـتهاـ وـتـنـوـعـهـاـ بـحـسـبـ نـوـعـ الـعـقـارـ الـمـسـتـخـدـمـ وـخـبـرـةـ الـمـتـعـاطـيـ.ـ وـقـدـ أـشـارـتـ نـتـائـجـ مـرـكـزـ E~C~A~ـ إـلـىـ أـنـ نـسـبـةـ ٢٩ـ٪ـ مـنـ الـمـرـضـيـ الـعـقـلـيـنـ فـيـ أـمـريـكاـ لـدـيـهـمـ خـبـرـاتـ طـوـيـلـةـ فـيـ تـعـاطـيـهـ نوعـ أوـ أـكـثـرـ مـنـ الـمـوـادـ الـمـخـدـرـةـ،ـ وـقـدـ تـبـيـنـ أـيـضاـ أـنـ الـأـشـخـاصـ الـذـيـنـ يـعـانـونـ مـنـ اـضـطـرـابـ الـوـسـوـاسـ الـقـهـرـيـ وـنـوبـاتـ الـهـلـعـ،ـ كـانـواـ مـنـ مـسـتـخـدـمـيـ الـكـحـولـيـاتـ لـفـقـرـاتـ طـوـيـلـةـ.

وـفـيـ دـرـاسـةـ أـخـرىـ وـجـدـ أـنـ نـسـبـةـ ٢٥ـ٪ـ مـنـ حـالـاتـ الـإـصـابـةـ بـالـقـلـقـ الـحـادـ،ـ وـ١٦ـ٪ـ مـنـ حـالـاتـ اـضـطـرـابـ الـهـلـعـ الـمـزـمنـ،ـ وـأـنـ نـسـبـةـ ٥٥ـ٪ـ مـنـ حـالـاتـ الـمـخـاوـفـ الـمـسـتـيـرـيـةـ تـعـودـ إـلـىـ الـاستـخـدـامـ الـمـتوـاـصـلـ للـعـقـاقـيرـ الـمـخـدـرـةـ،ـ كـمـاـ كـشـفـتـ الـمـسـحـ الـإـحـصـائـيـ الـذـيـ أـجـرـاهـاـ مـرـكـزـ E~C~A~ـ عـنـ أـنـ ٦٢ـ.ـ٥ـ٪ـ مـنـ الـمـرـضـيـ الـإـكـتـئـابـيـنـ وـ٨ـ.ـ٨ـ٪ـ مـنـ